City of loss
غلاف: منة الله صلاح
نوفيلا
مدينة التيه
منة الله صلاح
مقتبسة من أحداث حقيقية

مدينة التيه

نوفيلا

مدينـة التيـه

منـة الله صلاح ...🦋

" مقتبس من أحداث حقيقية "

_ في داخلي لطالما آمنت بأن دروب الحب عميقة وعجيبة لها الكثير من القصص وتحُفها الكثير من الصعاب والمخاطر.🦋...

.. صلوا على الحبيب ولنبدأ

" داخل صفحاتي ستجد الحب، الخوف، والضحكات....،لكن ؟!

هل أنت مُستعد لدخول الصحراء بهذه البساطة ..؟!

أن لم تكن مُستعداً فأنصحك بعدم الدخول، فهذه الصفحات تحمل بين طياتها أحداث قصة كانت قد وقعت بالفعل "

_ هل اتخذت قرارك يا صديقي ....؟

لو كانت أجابتك بنعم إذاً هيا بنا لنُبحر بين الأوراق ..

١ _ مُصالحه ...

في مدينة الألف مأذنة، قاهرة المُعز الساهرة الساحرة بأنوارها وشوارعها الجذابة و تُراثها العملاق وتنوع الحضارة داخلها بين الحداثة والقدم

تتجول بخيلاء فتاة شابة بمنتصف العشرين من العمر لها وجهٌ طفولي وضاء ، بملامح رقيقة وأنف مدبب صغير، ثغرٌ دقيق الحجم من حوله خدودٌ كرزية وأعين بنية بلون القهوة .

ترتدي حُلة فضفاضة سوداء اللون فلطالما عشقت هذا اللون على وجه التحديد ترتدي حجابها الذي لا يختلف لونه عن ثوبها البته ليبرز بياض وجهها وصفائه أكثر وتصير للرائي كاللؤلؤة الصغيرة المُحتميه داخل محارتها العملاقه مُستترة داخلها احتماءاً من نظرات البشر البغيضه.

تحمل بين يديها عدداً من الكتب ، في حين زين كتفها حقيبة بيضاء بلون حذائها الرياضي ، ما هىَ ألا لحظات من سيرها بأحدى الشوارع التي تعج بالسيارات والأشخاص وكانت قد وصلت لوجهتها مبناً سكني ضخم يحمل بين جدرانه العتيقة الكثير من الشقق الفسيحة التي تحمل الكثير من الحكايا والاسرار الراجعة لأصحابها .

صعدّت الدرج مهرولة حتي وصلت إلى الطابق الثالث ،قامت بإخراج مفتاحها واضعة أياه بابٍ لا يختلف طرازه عن طراز المبنى العتيق ، تفتحه وهي تقول بحماس مبتسمة على الرغم من ارهاقها :

_ السلام عليكم يا اهل البيت ، شامة ريحة جميلة على الاغلب كدا ست الحبايب راضية عننا النهاردة .

أتاها صوتٌ أنوثي عذب ووقور من داخل جنبات المنزل وتحديداً من تلك البقعة التي تنبعث من الرائحة الشعية للطعام، قائلاً :

_ عملالك المحشي اللي بتحبيه يا سوسو ، اي رئيك ..؟

وضعت أغراضها على أول كرسي قابلها وهي تركض فرحة كالطفل الصغير نحو والدتها بالمطبخ رادفة بحماس يغلبه الشك :

_ اه ... قولتيلي سوسو ، هاتي اللي عندك يا وفاء هانم سمعاكي ، سوسو دي مش بتخرج كدا عبثاً ..!

ضحكة والدتها من افتطانها لكلماتها بسهولة لترد عليها وهي تنظر تماماً في عينيها لثوانٍ معدودة بتردد وحيرة :

_ .....اه احنا.....! ، ولا اقولك لا ،لا ،لا مش هقول خليها بعد الاكل احسن .

ظفرت بتوسل ورجاء لوالدتها :

_ يلا يا ماما قولي بالله ..

_لا مش هقول خلاص قرار نهائي ، نتكلم بعد الأكل إن شاء الله يلا روحي غيري هدومك وتعالي عشان تجهزي معايا السفرة وياريت وانتي جاية تصحي أختك المعتوهه اللي طول الوقت نايمة دي .

_ ..... قرار نهائي يا فوفا ..؟!

ردت والدتها بنفاذ صبر وهي ترمقها شذراً :

_ سيدرة أخلصي ، قلنا هنتكلم على الأكل او بعد الأكل يلا ارتحتي أمشي بقي .

تنهدت الاخيرة بقلة حيلة وهي تلتفت مغادرة المطبخ لتتوجه إلى غرفتها قائلة بيأس مصطنع :

_ طيب خلاص هروح ..

لم تُعرها والدتها أهتماماً كبيراً لتسير في رواق منزلهم والذي تتفرع منه اربعة غرف تقابل كل واحدة منهم الأخرى في بساطة

راقيه لتدلف إلى أحداها وتقوم بتبديل ملابسها من بعدها تبدأ بإيقاظ أختها التي تُجالسها الغرفة نفسها :

_ وئام ....، وئام ...! ، انتي يا بنتي أصحي أي كل دا نوم يقطع شرك ياشيخه مبتصحيش من النوم انتي دب قطبي وأحنا منعرفش ..!؟

تململت في موضعها قائلة والنُعاس ينضخ من كل كلمة تُخرجها من فمها ، قائلة :

_ سيبيني انام شوية بالله عليكِ يا سيدرة ..

_ وئام قومي أخلصي ماما وصتني اصحيكي ، انتي عارفه لو مصحتيش هتعمل فيكِ أي ...،مليش دعوة انا قولتلك وطالعه .

نطقت متذمرة وهي تتأفأف بضيقٍ وحنق :

_ ياربي...، ياربي عليكي انتي وماما خلاص قومت قومت ...!

نهضت من مجلسها لجوار اختها المُتسطحه أعلى السرير لتخرج كي تساعد والدتها كما طلبت منها ، وما أن أنتهوا من أعداد السفرة حتى تجمعت العائلة حول الطاولة ، يترأسهم والدهم صاحب الطلة المصرية التقليدية والملامح الطيبة البشوشة ، ومن بعده والدتهم التي أخذوا منها أغلب صفاتهم و ملامحهم الرقيقة، يليهم الأخ الأكبر ثم الأختان المشاكستان والتوأم الصغير من الأولاد ...

باشروا الطعام وسط احاديث عديدة ومشاجرات صغيرة بين الفنية والأخرى ، ليقتطع حديثهم والدهم عامر وهو يقول بعد ان تودود هو وزوجته بصوتٍ خافت فيما بينهم :

_ أسمعوا في حاجه عاوز أقولهالكم ..

توجهت الانظار صوبه بتركيز وانتباه شديدان، وقد عم الصمت بينهم تأدباً لحديث والدهم ، لينتظر هو هينة مقتضباً لحديث رادفاً بعد ثوانٍ معدودة :

_ .....، أحنا هنروح لبيت جدكم بكرة بأذن الله ، كمان لينا فترة انا وعمكم أمجد بنكلم بعض وشبه اتصالحنا فعشان كدا سألني لو أمكن أننا نطلع سوى في نفس الوقت اولو كنا ناخد باص كبير سوى افضل ، ....بس أنا رفضت فكرة الباص

ووافقتوا في اننا نطلع سوى في نفس الوقت عشان محرجهوش ...، فحبيت أعرفكم أني اتصالحت عليه و خليكم جاهزين اننا نطلع على الساعة اربعة العصر كدا بكرة، عبال ما اكون انا واخوكم رجعنا من الشغل وطلبنا أذن واللذي منه ، وكل واحد خلص اللي وراه ...

_ .....

ساد الصمت اكثر من ذي قبل وتدلت هالات الدهشة لتكسوا وجوههم من كم الاخبار المفاجئة التي سمعوها لتوهم ، لينطق أنس

بعد صمتٍ ران لدقائق محاولاً تدارك ما سمعه للتو مستوعباً قدر الإمكان :

_ ..... معلش يا بابا مفهمتش !؟، يعني انت وعمي أمجد أتصالحتوا كدا خلاص ....؟!

_ ايوا .

_ امته وأزاي دا حصل ، وليه مقولتلناش ألا دلوقتي ، يعني لو مكنتوش هتروجوا لجدي مكنتش قولتلنا ولا أي احنا للدرجة دي ملناش رأي ولا أهمية انك تحكيلنا عن اللي بيحصل ... ؟ !

_متكبرش الموضوع يا أنس ، كل اللي حصل إيجا فجأة كدا والصلح من عند الله ، واحد صاحبي ربنا سخره لينا وجمع بينا واتصالحنا دا كل الموضوع بس كدا..... ، واصلاً كل اللي حصل كان خلال الاسبوع دا فمكنش في وقت نحكي سوى مناسب غير دلوقتي .

اردف أنس وهو عاقداً يديه إلى صدره موجهاً نظارت اللوم والعتاب صوب والده الجالس لجوار :

_ بس انا مش هقدر اروح بكرة معاكم ..

_ انت هتعملها زعلة ولا أي ، كلنا هنروح بكرة دا قرار نهائي مش بمزاجكم اصلاً ، بقالنا اد اي مروحناش لجدكم تلات سنين مش كفاية ولا أي ... .؟!

قال عامر كلماته بغضب من تصرف ولده الذي يحب ويعتبره صديقه المخلص قبل ان يكون ولده وطفله المُحبب ، ليرد الاخير مُبرراً لتضرفه وقوله هذا :

_ انا أه زعلان منك انك خبيت عننا موضوع الصلح بس دي مش المشكلة ، المشكلة أني مسافر بكرة بأذن الله .

قال بتفاجئ كما لو كان يسمع الكلمة للمرة الأولى في حياته :

_ ..... مسافر !؟

_ أه ، لو تفتكر حضرتك انا قولتلك من تلات أيام بالظبط أن جيلنا شغل في العاصمة الأدارية وأني هسافر مع العمال بتوعي .

_ اه ، اه ،..... .....، طيب خلاص توكل انت على الله، واحنا بكرة هنروح لجدك ..

نطقت وئام بسرعة غير عابئة بما يدور من حديث حول عمها او مشادات بين والدها وأخاها الأكبر ، مفكرة في شئ واحد فقط موجهة الكلام لوالدها وهي تُشير بيدها نحو جميع افراد عائلتها والذي يبلغ عددهم سته بما فيهم والدها من دون أخيها أنس ،قائلة :

_ .... بس أحنا أكيد أكيد مش هنروح بعربية بابا ، صح !؟

لم تستطع سيدرة أن تكتم ضحكتها ، لتستوعب من بعدها جدية الموقف بين والدها وأخاها وانه ليس الوقت المناسب للضحك وألقاء النكات، قائلة :

_ أسفة مكنش قصدي ، ... بس بجد يعني عربيتك يابابا مش هتشلنا كلنا ..!

نظر أبوهم تجاه أنس وهو يقول أمراً أياه مُستغلاً منصبه كربٍ الأسرة ، وموقفه الغاضب الذي تغلل فيه للتو :

_ .....، فعلاً معاكم حق خلاص ، أنس ياخد عربيتي واحنا هنركب عربيته ونروح بيها .

_ نعم ....!! ، لا طبعاً مستحيل ، انت عوزني أمشي من هنا للعاصمة بعربية فيت طراز القرن التسعتاشر كل ساعة تقف خمس ساعات في الطريق ، لا والله حرام دا عقاب دا اكيد صح ، صح ...؟!

_ يعني حلال انا واخواتك وامك نمشي بيها على الطريق الصحراوي يا ذكي مسافة ستُميت كيلو ...؟

_ لا .....، بس يعني ..، طب منا بردو همشي في طريق فاضي..؟

_ خلاص انا قررت والموضوع مُنتهي ، بكرة هيجي عمكم وولاده ونتجمع تحت قدام البيت عشان نطلع سوى ، وانت روح شغلك بالعربية بتعتي نقطة وانتهي الكلام ، انا شبعت .

نهض عامر عن السفرة ليتبعوه مُتتالين إلى ان فرغوا وانتتهوا من تناول الطعام ليجلس كل واحد منهم منهمكاً في أعداد حقيبة سفره داخل غرفته الخاصة ، في حين كانتا الاختان تتمازحان فيما بينهم على ما يحدث غير مستوعبين لما حدث الأن ، مستدرجين الحديث لمُنحني أخر ، لتمسك وئام بزمام الحديث رادفة :

_ لا بس ابوكي صدمني بجد ، كل الأحداث دي ومقلناش ..!

_ وحياتك الصدمة كانت عملاقه عندي انا كمان .

نخذتها وئام بنصف عين لتقول وهي تلكزها مرة أخرى غامزة بمكر :

_ قولتيلي صدمة يا لئيمة ، دا حتى ببا أتصالح على عمو أبو شهاب حبيب القلب كراش الطفولة ،هاه ،هاه ..

_ وئام اخرسي اي اللي انتي بتقوليه دا ، دا كان زمان بعدين انتي قولتي بلسانك انو كراش الطفولة واصلاً الموضوع بالنسبالي انتهى من زمان خصوصاً بعد الموقف اللي عملوا معايا في الجامعة .

_ ياقلبك الاسود ، انتي لسه مضايقه منو يابنتي انتي متخرجه خلاص وبقيتي شحطه قد الدنيا عندك خمسه وعشرين سنة ، كمان هو يمكن كان قصدوا غير اللي فهمتيه دخلتي في النوايا والقلوب بسلامتك ..؟!

_ ايوا انا قلبي أسود ، اكتمي وجهزي شنطتك خلينا نخّلص باقي الحجات انتي عارفه اهلك لازم ياخدوا نص البيت معاهم وهما مشيين ريحين الفرافرة ، زيي مايكون أحنا هنطلع للمريخ وهناك مفيش أي مظاهر للمعيشة .

_ والله صدقتي في دي الحقيقة .....

تنهدت ثم اضافت قائلة :

_يلا يابنتي يلا يفعلها الأباء ويتسحل فيها الأبناء ، هم بصحيح .

****

في الصباح الباكر أستيقظ الجميع متوجهين لأشغالهم في حين فضلت هىَ البقاء بالمنزل وعدم الذهاب للمكتبة التي تعمل بها لهذا اليوم .

كانت تجلس مشغولة البال به لا تدري كيف ستقابله مرة أخري هى تحبه لكنها تبغضه بشدة بعد ذاك الموقف تضارب المشاعر داخل قلبها كحال أولئك لاعبى المصارعة الحرة ..... ، لتنهض بعد الكثير من النزاعات الفكرية نافضة غبار افكارها عنها مُرتدية ملابسها تقول لوالدتها وهي تكاد تخرج من باب المنزل تُهندم في ثيابها :

_ ماما انا هروح اجيب شوية حجات من السوبر ماركت عشان منحتجش حاجه بس نمشي .

_ ماشي يا حببتي خلي بالك من نفسك ومتتأخريش ، في امان الله .

هبطت درجات المبنى بشرودٍ وثقل وهي تلعن وتسب في ذاك الشهاب الأحمق الغبي ، لتصطدم بشخصٍ فور خروجها من بوابة المبني متأوهة حرجة :

_ اسفة ، مكنش قصدي والله ، انا .....!

التفت الاخير ناظراً إليها بضيقٍ وتذمر ، ليندهش فور رؤيته لها لثوانٍ قليلةمن ثم أستفاق قائلاً ولايزال عاقداً حاجبيه متناسياً تلك الضربة التي تلقاها للتو في رأسه وقت أنحنائه :

_ انتي بتعملي اي برة ، رايحة فين ..؟!

" ... في حياتنا تأتينا فرصٌ أخرى مع من نحبهم أما أن نغتنمها وتعود العلاقات قوية ، أو نمر من خلالها مرور الكرام وتنتهي العلاقات للأبد .. ."

٢ _ بداية الرحلة ...

_ انتي بتعملي اي برة ، رايحة فين ..؟!

_ .....، وانت مالك ..!

_ لا والله حلوة دي ، لا مالي جداً على فكرة انتي بنت عمي يا متخلفه ، وبعدين متفتحي كدا وتمشي صاحيه بدل ما انتي على طول سرحانة وتايهه كدا ....في اي !، اي حوار السرحان دا .....، مين شاغل بالك يا هانم ..؟!

_ جر جر جر مبتزهقش من الكلام، والله يا اخي ماعارفه انا هتعايش معاك ازاي الكام يوم اللي جيين دول، دا حاجه تجلط، ابعد كدا غور من وشي ثم احب اقولك ان اللي أخد عقلي يتهنى بيه ....هه .

لوحت بيدها في وجهه متنحية عنه ترمقه بأزدراء تتجه نحو البقالة تُتمتم بكلمات لا يستطيع سماعها جيداً ليردف بحنق قبل ان تستكمل مسؤرها موقفاً أياها :

_ بتقولي اي ...؟

ألتفت نحوه قائلة وقد أحمر وجهها لشدة الغضب :

_ بقول ربنا يرحمنا من الشهب اللي بتتحدف علينا دي خلي الواحد يخلص والكوكب يرتاح، عندك مانع يا دكتور ...؟

_ لا ياختي معنديش .

_ طيب .

طالعته باشمئزاز من أعلى لأسفل ثم أستدارت نحو وجهتها مرة اخرى لكنه سُرعان ما تحدث واستوقفها قبل ان تبدأ بالسير مرة أخرى سائلاً أياها عن المكان الذي ستتوجه إليه لكنها أبت أن ترد عليه او تعره اهتماماً وتركته واقفاً كالأبله لا يعي سبب نفورها الغير مُبرر هذا من وجهة نظره

_"بعد بضع ساعات وتحديداً في تمام الساعة الواحدة ظهراً "

كان الجميع يتحرك ذهاباً و أياباً داخل المنزل كُلاً في أتجاهٍ عكس الأخر بسرعة وتّخبط ليُلملموا أشيائهم وحقائبهم كي يضعوها داخل سيارة أنس طراز الراف فور كما هو مُتفقٌ عليه.

في تلك الاثناء أمسكت سيدرة بيد اختها وئام ساحبتاً أياها لغرفتهم تسألها قائلة بتعجب :

_ هو شهاب كان بيعمل اي عندنا الصبح لما انا كنت برة ؟!

ضيقت الأخيرة عينيها وأعتدلت في وقفتها تتحدث بمكر وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة مشاغبة :

_ آه قولتيلي ..... شهاب مُش كدا ...، امممم تؤ تؤ تؤ حلتك بقت خطشيرة اوي اوي يا سوسو .

ضربتها على كتفها بنفاذ صبرٍ قائلة وقد ضيقت على عينيها :

_ أخلصي قولي كان بيهبب أي هنا ؟

_ طيب طيب هقول ، كل ما في الأمر أن أخوكي أنس سافر فبابا رن على شهاب وقالوا روح شوف الجماعة لو محتاجين حاجه جبهلهم قبل ما نسافر ....، بس طبعاً سعتك طلعتي تجيبي الحجات لينا أصلاً، فلما إيجا ماما ضيفتوا وعرفتوا أن حجتنا هتيجي معاكي ، ومشي بس .

أرجعت رأسها للخلف وهي تدور بمقلتيها في أنحاء الغرفة تعتليها نظرة خيلاء واضحة وصريحة مُرتمية فوق الأريكة المصحوبة بغرفة نومهم بكامل جسدها جالسة وهي تفكر لبضعة ثوانٍ لينطلق لسانها بالحديث بطريقة بديهية فقد اعتادت أطلاق السّبات عليه طول تلك السنوات :

_ امممم ، طيب جتو القرف عيل رزل .

_ واضح فعلاً ....

قالت وئام كلماتها بسخرية على أختها التي تظن أنها تظهر كرهها لابن عمها الا ان العكس واضحٌ من مُقلتيها اللامعتان غير مدركة أن حبها قد عاد بمجرد رؤيتها له مرة أخرى فعلى الرغم من أنكارها لتلك المشاعر تجاهه ألا أنها أثّرت حبه داخل فؤادها مُخبئة اياه برُكن مُظلم يُضاء بين الفترة والأخرى.

بعد ساعاتٍ وصل عمهم بسيارته هو وعائلته المكونة من أربعة فتيان وطفلة صغيرة ، ينتظرونهم بالأسفل ويحاولن توزيع الحقائب والمتاع الخاصة بعامر وعائلته داخل السيارة قدر الإمكان لكثرتها ، في تلك الأثناء هبطت الفتاتان ووالدتهم وأخوتهم الصغار حيث السيارات .

كانت تُهندم هى ثوبها الفضفاض كالعادة والذي يعتليه نقوشٌ صغيرة لزهرة الأقحوان البيضاء بلون قماشتة ناصعة البياض والتي لم يختلف حالها عن حال حجابها وحقيبة يدها وحذائها ايضاً، لتبدو كالغيمة اللطيفة التي تتهادى بظلها الرقيق ونسمتها الخفيفة فوق الأبدان، لم تلحظ ذاك الذي يُناظرها بتركيز ألا عندما لكزتها أختها مُشيرةً أتجاهه في خفاء ألتفت للتجاه الذي صوبت عليه أختها إصبعها لتراه وقد ألتفت هو الآخر يناظرها بجمود وشرود بالغان أو هذا ما كان ظاهراً لها، تكاد لا تفهم نظراته أهو يبغضها أم يهيم بها تارة يُناظرها بعشق والأخرى يناظرها بكره وحقد دفينان، فما كان منها ألا ان أشارت بوجهه مُحركة رأسها بضيق كعلامة أستفهام وسؤال حول نظراته،أبعد بدوره عيناه المُثبتتان بها في جمود وهو يعود لمساعدة والده وعمه مرة أخرى ...

لتنطقت وئام بهمس لأختها قائلة :

_ لا بس شهاب النهاردة مظبط نفسو وشكلو عال العال ، ولا أنت أي رئيك يا جميل ..؟

_ ..... رئي تخرسي بدل متجبلنا مُصيبة لو بابا سمعك .

_ هو انا كل ما اتكلم تخرّسيني دا انتي رخمة، والله مهكلمك طول الطريق خليكي كدا على الصامت لوحدك .

انهالت بكلماتها الغاضبة على اختها وهى تسحب يدها من يد اختها لتقف بجوار والدتهم من الجهة الأخرى، في حين اختلست سيدرة نظرة خاطفة نحوه ، لترى هيئته مرة أخرى ....

بدى جدياً اكثر من السابق ، بل واصبحت هيئته الرجولية صارخة على غير المتوقع بالنسبة لها ما زاده هيبتاً ووقار أكثر من اي وقتٍ مضى ، تتهدل خصلاته البنية الناعمة على وجهه حاد الملامح فيبعدها بنفور وضيق متأفأفاً كعادته مُنذ الصغر

ركزت على عينيه غريبة اللون فلم تكُن خضراء ولا بنية بل كانت صفراءٌ جميلٌ لونها ، وقد كانت أكثر ما يعجبها في شكله هي عيناه المختلفتان عن مثيلاتهم .

ليلتفت ناظراً نحوها على حين غرة فتصطنع البلاهة وتنظر نحو السماء ، ابتسم بدوره على نظراتها المفضوحة له وهو يعود مرة أخرى للنظر فيما يفعلونه وقد ضاق ذرعهم، ليقول والده عليّ لأخيه عامر :

_ يا عامر انت عادتك دي مش هتخلص منها ابداً ، العربية أتملت حجات يا عامر ، بالله يعني أخد بطين ليه معاكم ؟!

انا نفسي اعرف واخد حتى المخدات يا عامر مخدات ، دا انت رايح عند بيت ابوك ، منطقي يعني اللي بتعملوا ....!

_ بقولك أي يا علي انت عارف أني بحب أخد الحجات عشان الاحتياط افرض متوفرتش حجات هناك نخليهم يشترولنا مثلاً ! اسكت بس اسكت .

_ سكتّ اهو ، يلا يابنات اركبوا ، يلا ياحجه وفاء .

صعدوا للسيارة الواحد تلو الأخر حتى أتىَ دور سيدرة لترى السيارة وقد امتلئت بالمتاع والأشخاص ، ليهم عمها قائلاً :

_ هاه ، اهو دا اللي بتكلم فيه المسكينة دي بقي تجري وراكم يعني ولا اي ...، نزل ياعامر الحجات دي بالله عليك خلينا نتحرك اتأخرنا .

ضحك الجميع مما قاله عليّ بسرعة وهو غاضبٌ من افعال أخيه الغريبة ليبدو شكله مُضحكاً أكثر مما هو عليه

ألا ان اخيه آبى الأنصياع لأوامره قائلاً :

_ والله ما هنزل حاجه يا علي أرتاح بقي هه، وخدوها معاكم

نظرت سيدرة لوالدها بصدمة ووجهٍ فزع قائلة وهي تضحك بأستهزاء من سُخف ما يقول :

_ ياخدوها معاهم دا اي يا بابا هو انا شنطة ميصحش الكلام دا، عمي معاه حق بصراحة بعدين أنا عاوزه اركب معاكم .

_ يعني عمك معاه حق وانا لاء ؟!

_ يا بابا مش القصد والله .....

اقتطع والدها حديثها وهو يقول متوعداً حالفاً :

_ طب اي رئيك بقي والله ماتركبي معانا ولتروحي مع بيت عمك يلا بقي .

اعتلت نظرات والدتها واختها الدهشه لتمسك وئام بيد اختها وهي تتوسل والدها وقد ملأت نظراتها الشفقه :

_ يا بابا يا حبيبي معلش خليها تيجي معانا واحنا هنشيل بعض انت عارف انا وسيدرة منقدرش نقعد من غير بعض بالله يا عامر يا حبيبي متنكد علينا السفرة الوقت طويل اووي ف الطريق .

_ أصلاً مش هينفع لازم واحدة فيكم هتركب معاهم، بالعقل كدا هنزل أمك ولا هنزل اخواتك اللي عندهم اربع سنين دول اللي ميقدروش يسبوها، يا انتي يا اختك اختارو ...؟!

همت سيدرة ناطقة وقد لمعت عيناها قائلة بذكاء ينضخ من عينيها البُنيتان او هذا ما أعتقدته عن نفسها :

_ ما انت ما عرفتش بقي يا عمور يا حبيبي، شوفت بقي عمي عربيتهم مش هتشلني بردو .

ثم اقتربت منه هامسة :

_ وبعدين دول كلهم شباب هتأَمن على بنتك الكيوته القمرة دي معاهم أزاي يعني .....، فكر كدا ؟!

طالعها بأستغراب وهو يقول بصوتٍ عالٍ ومسموع :

_ والله خايف عليهم منك انتي قال شباب قال، روحي يا سيدرة الله يسهلك يابنتي، شهاب ابن عمك معاه عربيته اصلاً وهيركب فيها هو واخته سهام ومعاهم الشنط صرفي نفسك معاهم .

_ يعني.....، بس سهام صغيرة .

_ متخفيش شهاب مش هيبص فوشك ..، صح يابني ؟

ناظر عمه وهو يكاد يقع من فرط الضحك على حواره مع ابنته قائلاً وهو يهز رأسه إيجاباً يصطبغ وجهه حُمرة :

_ دا حقيقي يا عمي، متقلقش مش هبص فوشها .

فتحت عينيها على وسعيهما خجلة مما يقوله ولو على سبيل المزاح، غاضبة من فرط الأحراج رادفة :

_ لا والله ....!

_ ياستي اخلص عطلتينا .

نظرت لوالدها بعد ان اردف شهاب كلماته الاخيرة وهي تقول بغرور يغلبه الحرج :

_ أنا مش همشي مع الكائن دا، لا، لا مستحيل، دا يرفع الضغط اقسم بالله .

لتنطق والدتها بعد صمتٍ دام الكثير مُختصرة كل الحديث في ثلاث كلماتٍ فقط :

_ سيدرة أخلصي احسنلك .

_ ...حاضر .

استمعت لكلمات والدتها في رهبة وخوفٍ من تحدثها المُفاجئ ففي المرة التاليه لن يكون الحديث بالفم بل سيكون بلغة الحذاء كباقي الامهات لهذا ومنعاً لأحراج نفسها أكثر من ذلك قررت الانصياع لأوامر والديها في هوان .

لينتهي الجدال ويركب كُلاً السيارة التي ستقلهم لوجهتهم المنتظرة .....

_ في الصحراء كُل شئ ممكن ...

فهل انت مستعد للضياع داخل ذاك الحيز من الفراغ الذي يحوي الكثير من الأسرار والخبايا المرعبة ...؟

٣ _ وصول سريع (مدينة التيه)..

صعدت معه وسهام للسيارة على مضض في حين كان هو لايزال مُحافظاً على جمود ملامحه ومعاملته الجافة معها بالرغم من ابتسامته التي كانت تكسوا وجهه مُنذ قليل

لينطلقوا في طريقهم شاقين الصحراء بسيارتهم تِباعاً الواحدة تلو الأخرى وفي المقدمة أسرع بسيارته يُسابق الرياح مُبتعداً عن سيارة والده وعمه كثيراً دون ان يلحظ ليغيب عن ناظري والده الذي سُرعان ما امسك بهاتفه يُحدثه موصياً له وهو يقول :

_ أمشي براحة يا شهاب عشان الطريق طويل ولو احتجنا حاجه من بعض نكون قريبين، كمان خلي عندك دم بنت عمك معاك حاول أنك متختفيش مسافة بعيدة عشان عمك ميقلقش عليها .

_ حاضر ، بس أنا اصلاً سبقتكم مسافة كويسه بس معتقدش كتير ؟!

_ منا اخد بالي يا اذكى أخواتك، لا، لا، مش كتيرة خالص حوالي ساعة كدا بس أصلاً سعتك مبقتش باين قدامي على الخريطة، جتكم القرف انت وعمك اقفل .

_ ..... أأ طب وانا مالي ....!

اغلق الهاتف قبل ان يستكمل شهاب جملته، لتبدأ مُباشرةً اخته الصغيرة بالنواح والصياح طلباً لوالدتها، حاول ان يُهدأها ألا أنه فشل في ذلك وكذلك سيدرة التي حاولت ان تبقيها معهم قدر الإمكان وبشتي الطرق ألا أن الصغيرة صاحبة الثامنية اعوامٍ أبت البقاء معهم لأكثر من ذلك غير مبررة أسبابها فقط تبكي دون أنقطاع، فأضطُروا أسفاً الوقوف جانباً مُنتظرين سيارة والده.

مرت الساعة وقد وصلت السيارة وكانت سهام لا تزال مُحافظة على بُكائها ونواحها طالبة والدتها ولم تهدأ للحظة

ألا فور رؤيتها لها، لتلتقطها والدتها بين احضانها مُهدهدتاً عليها تسألها عن سبب بكائها هذا، ردت الصغيرة بخوفٍ مُرتعبه باكيه :

_ خايفه ...

_ خايفة من أي يا حببتي انتي مع اخوكي وبنت عمك، طيب حد فيهم قالك حاجه طيب ؟

_لا مش هما حد تاني .

تبادلوا النظرات فيما بينهم ليسألها شهاب بريبة وأندهاش :

_ مين الحد دا يا سهام ..!؟

تعالى صوت صياحها أكثر لتقول بهستيرية وهي تصرخ وتنظر نحو الطريق :

_ مش عاوزه اروح مع شهاب وسيدرة بالله يا ماما خليني معاكِ، أنا خايفة، انا خايفة، أنا خايفة ..

سرت قشعريرة في اجسادهم فرغم كل شئ ألا ان خوف الصغيرة الهستيري بدى مُرعباً للغاية ليقول عليّ لولده بتوتر :

_ توكلوا انتو على الله يا شهاب انت وسيدرة وسهام هتركب معايا انا وامها وباقي أخوتها .

من ثم ألتفت لابنة أخيه مُعتذراً :

_ معلش يابنتي انتي شايفه العيلة عامله ازاي فهنضطر ناخدها معانا ؟!

_ لا، لا، يا عمو ولا يهمك طبعاً !

_ ....بس يا بابا ..!؟

_ متقلقش يا شهاب انا هكلم عمك وأشرحلوا كل حاجه، يلا امشوا انتو، أحنا هنسبقكم خليكم ورانا بينا أحنا وعمك .

قال علي كلماته الأخيرة وقلبه ينبض خوفاً لا يدري ما سببه لكنه شعر بالتوتر والقلق وأراد أن يتحرك من مكانه بأقصى سرعة ممكنة، فالهالة المُحيطة بتلك البقعة التي يقفون بها بدت مُرعبة تقبض على القلوب، ليهُم راكباً السيارة ومن بعد ولده فؤاد ومروان وسعيد، ألتفت شهاب لوالدته التي ربتت عليه قائلة وهي تُمسك بيد سيدرة قابضة عليها كما لو انها ستهرب منها :

_ شهاب مش هوصيك يا حبيبي بنت عمك امانة في رقبتك اوعى تعملها حاجه تزعلها او تأذيها، واوعى تسبها تحت أي ظرف اتفقنا يا حبيبي .

_ يا امي متخفيش والله انا بعامل ربنا قبل اي حد فمتقلقيش وتوكلي على الله .

ألتفت تجاه سيدرة قائلة بحنو وعينان تفيضان حباً :

_ حببتي متخفيش شهاب محترم والله وعمره ما هيأذيكي ولا بأي شكلك، يمكن هو اكتر واحد في ولادي اللي ضمناه أصلاً وعارفه اخلاقوا الباقيين عليه العوض ومنو العوض .

_ مش خايفة والله يا طنط سلوى، انا عارفه انو مش هيأذيني بأذن الله .

_ طيب مش هوصيكم على بعض، خدو بالكم من بعض ياولاد أمانة لحسن أنا قلبي مش مستريح من خوف سهام الغير طبيعي دا

_ ربنا يسترها يا امي ، يلا روحي انتي عشان بابا ما يقولش حاجه لأن شكلو هو كمان متوتر .

توجهت نحو زوجها لتركب بجواره حاملة طفلتها فوق قدميها لباقي الطريق، ليصعد كُلاً من شهاب وسيدرة السيارة تتسارع دقات قلوبهم دون توقف، أدار محرك السيارة وانطلقوا سالكين طريقهم من خلف سيارة والده، توجه بنظره إليها ليُلاحظ توترها وخوفها لم يكن بيده شئ سوى أنه حاول التخفيف عنها مُمازحاً وهو يحاول أبعاد تفكيرها عن خوف سهام، فهو اعلم الناس بثنايا فكرها وخبايا

عقلها اكثر من اي شخصٍ آخر :

_ مش هكلك متخفيش، اهدي .

نظرت إليه وقد كست ملامحها أمارات الذعر والرهبة أكثر خاصة وأن الظلام قد أسدل عبائتة السوداء على الطريق، تقول مُتنهدة بعد ان سحبت نفساً عميقاً من الأكسجين تُثلج به صدرها المُشتعل مُضطرباً :

_ مش خايفه منك .

_ أمال مالك كدا، لونك مخطوف ؟

_ مش عارفه بس حاسه بحاجه غريبة ممكن اوهام أو بسبب خوف سهام والكلام اللي قالتو، سيبك سيبك ركز في الطريق وانا هجبلنا فيلم نسمعه كدا أهو اي حاجه تتكلم بدل جو افلام الرعب اللي احنا مشيين فيه دا .

_ تمام .

اخذت تعبث بهاتفها على فيلم جيد لتسمعه معه وهي تقول :

_ تعرف طول عمري بحب الصحرا اوي وبحس ليها سحر خاص كدا، كل حاجه فيها جميلة بجد، شكلها لون الرملة بتعتها وجبالها المتفرقة البعيدة دي اللي تحسها زيي السحب من بعيد، حتى ريحة الرملة فيها مميزة وجميلة جداً، اممم

اي رئيك تسمع أنمي، انا بحب الأنمي أوي .

ناظرها بأعين تفيض حُباً وهياماً بها يود لو استمع لحديثها أبد الدهر، لكنه دائماً ما يُحاول أبعاد تلك الافكار عن رأسه وأخراجها من قلبه فهي تكرهه ...، أجل تكرهه هو لا يرى منها سوى النفور والكره لا يعلم أهذه مُخيلته الحمقاء التي تجعله تارة يراها تحبه وتارة اخرى يراها تبغضبه تمام البغض

أجابها قائلاً وهو يخرج زفيراً عميقاً :

_ بصراحه مش بسمعه بس تمام نجرب .

وضعت على إحدى أفلام ستديو غيبلي اللطيفة ذات الاجواء الربيعية المُبهجة والأحداث الخيالية الجذابة، وبالفعل ما هي ألا لحظاتٍ من بدأهم بالأستماع للفيلم حتي هدأت نفسها وتحول تركيزها إلى الفيلم إلى أن أنهته لترفع رأسها وقد بدأ يغلبها النُعاس تُكافح كي لا تُغمض عينيها بنظرها للخارج المُظلم الذي يوحي بالنوم أكثر؛ ألا أن عينيها كادتا تخرج من محجريهما عندما رمت ببصرها لمسافة ليست بالبعيدة عنهم لترى أنواراً لقرية عائلتها التابعة لمركز مدينة الفرافرة والتي يسكُنها جدها وباقي اعمامها و عماتها، لتعتدل مُشيرة بيدها نحو الأضواء قائلة :

_ هي مش دي دخلة القرية بتعتنا ولا انا بيتهيئلي ....؟!

_ ايوا هىَ، كنت لسه هقولك بردو، بس الضلمة مش مبينة أغلب التفاصيل بردو، خلينا نشوف .

_ غريبة الوقت عدى بسرعة اوي كدا مفروض كان زمنا لسه في الطريقة لغاية دلوقتي....؟

_ .....

ظل صامتاً لا يعلم ما يقول فهو لم يأتي لهذا المكان مُنذ اكثر من ثمانِ سنوات تقريباً او اكثر، ففي كل مرة كان يأتي فيها والده لزيارة عائلته كان يجلب زوجته وولده الأكبر فؤاد

ليقرر كسر صمته قائلاً بتوجس :

_ أنتي متاكدة أن دي الدخلة يا سيدرة، انا بقالي كتير اووي مدخلتش هنا ومش فاكر اي حاجه، ولا الضلمه أثرت عليا ولا أي، حاسس في حاجه غلط؟

_ ايوا يا بني متأكدة هي، ادخل ادخل بس خلصنا خلينا نروح البيت لحسن خلاص هموت من النعس .

_ طب رني كدا على أي حد من اهلي شوفيهم فين مفروض يكونوا وصلوا قبلنا .

امسكت هاتفها لتُلاحظ أن الشبكة ضعيفة والساعة متوقفة ألا أنها غضت الطرف عن الأمر محاولةً الأتصال بعمها ليرد عليها من الجهة الأخرى مؤكداً عليها وصولهم لهناك، لتُغلق السماعة وهي تخبره ان يقوم بسلك الطريق الصغير المتفرع من

الطريق العمومي مؤكدة عليه انها نفسها قرية جدهم وأنهم قد وصلوا قبلهم بالفعل .

أخذ الطريق ليدلف للقرية قائلاً بأستغراب وهو يُطالع بكل بيت وزاوية مُندهشاً من خفوت الأضاءات التي كانت تسطُع مُنذ لحظاتٍ قليلة، مُتغرباً حال الشوارع الفارغة :

_ هىَ كل البيوت مقفله ولا انا بيتهيئلي ...!؟

_ هما بيناموا بدرى هنا .

أجابته بسرعة وبديهية لكن وعلي الرغم من بديهيتها وسرعتها في الأجابة عليه الا انها شعرت بشئ مريب لكنها أبت الاعتراف بذلك، ليرد عليها شهاب بنفس تعابيره ينقبض قلبه كلما تعمقوا أكثر داخل القرية :

_ اه .... طيب، بس الأضاءة مش باهته كدا تحسيها ؟

_ ايوا هي فعلاً باهته، ممكن النور ضعيف ..!

_ ..... ممكن !

_ احنا دخلنا من بوابة المدينة امته يا شهاب صحيح ؟!

نظر نحوها بوجهٍ مُصفر وهو يحاول ان يلجم خوفه ويهدأ من ضربات قلبه المُتسارعة قائلاً :

_ .....، هتصدقيني لو قولتلك معرفش ؟

_ .....!؟

_ في صحراء التيه عثرت القلوب على ضالتها وعادت لسابق عهدها وحبها مُقرتاً معترفة ....

٤ _ قرية العائلة ...

_ .....، تقصد اي بأنك متعرفش دي ، ازاي يعني اتعميت مثلاً ....؟

رد عليها بغضبٍ ممزوجٍ بخوف لا يعلم مصدره حتى اللحظة في حين كانت انظاره مُتعلقة بالشوارع الخالية على غير العادة من البشر وحتى الحيوانات لا يدري إلى اين يتجه :

_ معرفش يا سيدرة انتي غبية وبعدين شوفي الطريق قدامك عامل ازاي ، انتي مش حاسه بأي حاجه غريبة ؟!

ناظرته بمقت قائلة في عناد :

_ لا مفيش حاجه غريبة واتفضل ادخل الدخلة اللي جاية دي يمين عشان بيت جدو فيها ، خلينا نخلص من المشوار دا .

_ .... اوف ، اوف ، طيب .

_ سلك الطريق التي اشارت إليها لتقول بلهفة وقد اعتلت ملامحها امارات الدهشه على الرغم من ذلك ، وهي تُشير بيدها نحو المنزل الذي كان يُشع عتمة من ثنايا جُدرانه القاتمه ، قائلة:

_ هو دا البيت اقف هنا ...

توقف بالسيارة ليهبطوا منها واقفين امام باب المنزل الرئيسي والذي كان يلتصق بجدارٍ مُرتفع يُحيط بالمنزل من جميع

الأتجاهات ، ليضع شهاب سبابته قارعاً باب المنزل الخشبي القديم ليفتح لهم شخص قائلاً :

_ .....ايوا مين ؟!

_ ازيك يا عمو عامل اي انا سيدرة بنت عامر عرفتني ...!

قالت كلماتها وهي تنظر نحو عمها الذي تحفظ هيئته وشكله بدقة كبيرة رغم عدم رؤيتها له لفترة من الزمن ، كانت تحاول ان تتبين ملامح وجهه ألا أن الظلام المُحيط بشكله وهيأته المُريبة لم يمكنها من رؤية ملامحه جيداً ، ليرد عليها الرجل مُتلعثماً وهو يتدارك الأمر :

_ سيدرة ...، أه ،اه فكرك طبعاً أتفضلي جوا .

اعتلت وجهها ابتسامة طيبة من تذكر عمها لها فقد كان اعمامها كُثر وأولادهم أكثر منهم في العدد ومن الصعب على البعض تذكر جميع الأشخاص بسهولة خاصة كبار السن .

كان في تلك الأثناء يُنزل شهاب في الحقائب ، خاصته وخاصتها ليدلفوا للمنزل، وما أن انزلهم حتى هرول عمه نحوه قائلاً بغضبٍ هادر :

_ لا ،لا ، انت روح روح عند بيت عمك قُصي اهلك هناك متدخلش هنا ، يلا يلا روح ..

تبادل وسيدرة النظرات باستغراب ، لتحاول هي تدارك الموقف قائلة وقد اصطنعت ابتسامة من جوفها مُرتبكة من تصرف عمها خالد :

_ خلاص يا شهاب روح انت عند بيت عمو قصى طالما اهلك هناك ، وانا هدخل مع عمو خالد .....، مش بابا جوا هو وماما واخواتي ياعمو ؟!

_ اه جوا .

تحدث شهاب إليها في شكٍ من تصرف عمه الذي بدا مُريباً من اول نظرة وقعت عيناه فيها عليه قائلاً بتوتر واضح وهو يطالعها مرة ثم عمه مرة أخرى :

_ .....، واثقة ، يعني أمشي ....؟!

_ ايوا ايوا روح خلاص عمو قال انهم جوا يابن الحلال مالك كدا بتتصرف بغرابة ..

_ .... دا انا اللي بتصرف بغرابة ؟

_ اه اومال مين يعني ....!

_ ..... سبحان ....

_ اسكت يلا وامشي روح لابوك واخواتك ...!

قال خالد كلماته الأخيرة بغضب هادر حتى كاد ان يضرب شهاب لتقتبض ملامحه هو وسيدرة فزعين من حالة الاهتياج التي أصابت الرجل

على حين غرة ، ليقوم شهاب بسحب سيدرة من يدها بعيداً قليلاً وهو يقول هامساً :

_ سيدرة المكان دا والله ما طبيعي ، ولا حتى عمك دا بصي بالله مُريب ازاي ، دا حتى وشو مش باين تحسي في ضباب كدا على وشو ، ولا بصي على البيت بتاع جدك تحسي أن النور مقطوع وقاعدين في البيت كلو على ضوء شمعة واحدة لدرجة ان البيت حتى تفاصيلوا مش واضحة .....، انا بقول نفضل سوى افضل حاسس أني مش مطمن عليكي لو سبتك هنا لوحدك ....!

غضت الطرف عن كل حديثه مُركزتاً فقط على كلماته الأخيرة وخوفه عليها لتصطبغ صفحة وجهها باللون الاحمر خجلة من حديثه تقول وهى تُطمئنه :

_ ....، لا لا متخفش روح بس انت عشان هو شكلو مضايق وبعدين خلاص هو مسافة الليل بس واول ما نصحى هنتقابل .

صاح خالد مُنادياً عليهم وهو يقول كما لو ان احداً يُلقنه بما سيقوله لهم :

_ أنتو عرفتوا أن بكرة هتكون حنة بنت عمتكم رُبا على راجي ابن عمكم محمود ...؟

التفتوا إليه في صدمة ، لتتقدم سيدرة نحوه قائلة بتفاجى وحماس :

_ بجد .... ، يااااه دول كانوا بيحبو بعض من وهما صغيرين من زمان اوي انا فكرتهم نسيوا ولا حاجه ، فرحتلهم اوي اوي .

ثم التفتت براسها نحو شهاب قائلة :

_ فاكر رُبا وراجي ...، مُتخيل انهم اتجمعوا سوى اخيراً يااه .

لم يكن قلبه مُطمئناً على الرغم من ان الوضع بدى عادياً لكنه فضل الاجابة على عمه بدلاً من سيدرة رادفاً بتساؤل متوجساً :

_ اشمعنه محدش قلنا عن المناسبة دي يا عم ..؟!

_ كنا هنقولكم بعدين جدك طلب مننا محدش يتكلم غير لما تيجو عشان تبقي مفجأة ليكم كلكم .

_ ..... اه !!

طيب أنا هروح عند بيت عمي قُصي دلوقتي واشوفكم الصبح بقي.

ردف بجملته الاخيرة وهو يرمق سيدرة بعدم أرتياح واضعاً حقيبته في السيارة مرة اخرى بعد ان سألهم الطريق وحدثوه عنه، ليتحرك تاركاً اياها ورائه وعقله مُنشغلاً بها

في حين امسكت هي بحقيبتها دالفة مع عمها لمنزل جدها الذي كان كالكهف المُظلم ، ما ان دخلت من باب المنزل ونظرت حولها لترى اين والديها وعائلتها كي تُسلم عليهم وتغمرهم بالقبلات والاحضان من شدة اشتياقها لهم فلم تعتد ان تتركهم لفترة كهذه من قبل حتى رأت جدها يجلس في زاوية تحت الدرج المُلحق بالمنزل والذي يؤدي للطابق العلوي على كرُسيٍ مُتحرك ..

أستغربت الامر فجدها بصحة جيدة هل يعقل انه قد تدهورت صحته في تلك الفترة ليتركوه مُقعداً بهذه الطريقة الأغرب بالنسبة لها ان اعمامها شديدي البر بوالدهم ولا يُعقل أن يتركوه هكذا ابداً ، بل ويعتبرون هذا الامر عارٌ قد يلحق بهم واهمالٍ في حق والدهم العجوز ..

أقتربت من جدها لتُصافحه وتسلم عليه وقد استغربت هيئته المُذرية وثيابه الوسخة المُقطعه يّمسك بشمعة داخل إحدى الشمعدان طويلة اليد ، قائلة :

_ ..... أ أ ، أزيك يا جدو عامل أي انا سيدرة بنت عامر ابنك فاكرني .

_ .....

ظل الرجل صامتاً ولا يُطالع وجهها البته ، لتلفت إلى عمها الذي كان لا يزال يقف عند الباب سألة أياه محاولة عدم التركيز فيما يحدث من أشياء غريبة

_ أمال فين بابا وماما واخواتي يا عمو خالد ....؟

_ دخلوا ناموا ، يلا انتي كمان عشان تنامي الوقت اتأخر

اطلع فوق هتلاقي اوضه على يمينك كدا اول ما تطلعي من السلم ادخليها هي دي اوضتك .

_ .....!!

دُهشت من كلمات عمها المقتضبة ، وعن عائلتها ايضاً فليس من عادتهم ان يناموا في مثل هذا الوقت ، توجهت بمقلتيها لتنظر ساعة يدها وترى ان الساعة أصبحت الثانية عشر مُنتصف الليل ،

لتتسائل في نفسه كيف انقضى الوقت بهذه السرعة دون ان تُدرك ذلك ، من ثم شعرت بالنُعاس بُغتتاً للتثائب قائلة وهي تجر حقيبتها على السُلم :

_ تمام يا عمو خلاص نتقابل الصبح بقى .

_ .....

ما ان وصلت للطابق الثانِ حتى ألتفتت إلى يمينها لتجد بابا الغرفة التي حدثها عنها عمها مفتوحاً حتى نصفه ، تأملت شكله وهيئته المُهترئة غير مستوعبة لتدفعه وتدلف إلى الغرفة ، التي سُرعان ما صُعقت من حالها ...!

قد كان الغبار يملئ كُل أنشٍ فيها السرير والاغطية والجدران ناهيك عن ارض الغرفة التي كانت تحمل كمية لا بأس بها من الاتربة المُتراكمة اعلاها ...!

بدأ الخوف يتسرب لقلبها أكثر ، قد كانت خائفة لكنها حاولت غض الطرف عن خوفها هذا الا أن الاحداث غير طبيعية البته فبيت جدها على وجه الخصوص دائماً ما يتناوبون لتنظيفه لكن ويال العجب على غير العادة هو ليس كذلك

فتحت حقيبتها وقامت بأخراج ملابس نومٍ لها لتبدأ بتبديلها واخراج سجادة الصلاة الخاصة بها لافتراشها أثناء النوم ، فوّضع السرير مُثيرٌ للأشمئزاز بشكلٍ مُبالغٍ فيه واضطرت إلى اخذ إحدى الوسائد المُلقاة على السرير لتضعها تحت رأسها

مُستلقية على ارض الغرفة تتأمل بعينيها حال الغرفة والعناكب التي ملأت سقفها مُفكرة بصوتٍ مسموعٍ لها وهي تقول :

_ غريبة ...! ، حتى الاوضة اللي هبات فيها منضفهواش ، بس يعني مش معقول كمية الوسخ دا زيي مايكون اوضه مهجورة عمر محد دخلها .....؟

تؤ ...! يلا مش مهم مش مهم ممكن مشغلون في الحنة والتجهيزات وكدا ...، صحيح بمناسبة الحنة غريب انهم مزينوش بيت جدو زيي كل مناسبة بتحصل ....!؟

عادةً بيزينو البيت اللي فيه الفرح ولازم بيت جدو يتزين مع البيت اللي فيه المناسبة دي ....، تؤ في حاجه مش طبيعيه بس مش مهم دلوقتي ..... رأيي أني أنام .....

لم تشعر بنفسها لتغرق في ثُباتٍ عميق دون وعيّ منها .....

٥ _ مُناسبة سعيدة ..

انقضي الوقت ولا تزال نائمة في سُباتٍ عميق يتخلله الكثير والكثير من الكوابيس المُخيفة لدرجة انها كانت تتحدث مُستنجدة كي يُساعدها أحد لكن لا حياة لمن تُنادى، لم يُنقذها من كوبيسها المُرعبة سوي صوت همهماتها المُختنقه

لتستيقظ من نومها شاعرة بوجود أحدهم تماماً فوق رأسها لكنها لا تستطيع النظر إليه بل لا تقوى على رفع رأسها تجاهه تشعر وأن احداً يضغط عليها مُثبتاً رأسها وجسدها بالأرض، كان جسدها مُتصلباً مُقيداً بقوة بقيدٍ عنيد الأنحلال .

حاولت النهوض جالسة لكنها سُرعان ما وقعت وغطت بنوم عميقٍ كالسابق مرة أخرى ....، تتالت هذه الظاهرة عليها طوال فترة نومها لأكثر من ثلاث مرات، لتصحو في المرة الرابعة وهي تستعيذ بالله من الشيطان قائلة بمرضٍ واعياء غير مبررين، وبأنفاس مُتهدجه :

_ أعوذ بالله ... من .... الشيطان الر..جيم ....!!

ما ان انهت استعاذتها حتي تمكنت من النهوض وأخيراً ، قامت بالامساك بهاتفها تنظر كم الساعة لتجدها التاسعة صباحاً، لتنظر نحو النافذة ترى أن ضوء الشمس يبدو مختنقاً على غير العادة بدت وانها في حالة كسوفٍ قاتمه،

أستغربت كثيراً الحال العام الذي يُحيط بها مُنذ أتت لهنا ....؟!

لتظفر متنهدة ناهضةً كي ترتدي ملابسها لتخرج من الغرفة تسأل عن عائلتها، لكنها لم تلبث ان فتحت الأبواب حتى وجدت زوجة عمها خالد تقف مُتجمدة تنظر نحو باب غرفتها لا تُزين ملامح وجهها ألا الجمود والرعب من شكلها الغريب لتقول لها ما ان فتحت الباب أمرةً اياها :

_ يلا انزلي عشان تفطرى، الاكل جاهز تحت على السفرة .

_ حاضر ....!

ألقت زوجة عمها كلماتها مُتجهة للأسفل ومن خلفها سيدرة التي كانت تمشي بريبة وقلق، فقد تزايد قلقها وتوترها اكثر عند رؤيتها لعائلته فور نزولها من الدرج

كانوا جميعهم جالسين على الطالة مع أهل عمها وجدها، كُلاً يجلس على كُرسيه مُطأطأ الرأس في صمتٍ مهيب ولاتزال الأضاءة كحالها مُنذ ليلة امس خافته في ظل انتشار العتمه من جميع ثنايا المنزل بأستثاء البقعة التي يجلسون فيها وحدها ما كان ينتشر فيها ضوءٌ بسيط لكنه كثيفٌ عن حال باقي بُقع المنزل ...، توجست ولم يخطر ببالها ألا شهاب لكن كيف ستصل إليه وهاتفها لا يلتقط اي شبكة مُنذ دخولها لبيت جدها ....!؟

حاولت أن تتمالك أعصابها وتسيطر على افكارها وعقلها المُشتت لتجلس هي الأخرى على مائدة الطعام التى كانت مليئة بأصنافٍ كثيرة من الجبن الذي تحبه بكل انواعه والخضر والمقالي من بطاطا وباذنجان وفُلفل .

وفي وجود مثل هذه ابمُشيهات صعُب عليها أحباط شهيتها وألجامها عن الأكل لتباشر بالطعام دون تردد لشدة جوعها فهي لم تأكل شيئاً مُنذ أمس كما ان الحقيبة التي جلبت فيها بعض الوجبات الخفيفة اللذيذة التي تُحبها وأختها، لم تكن معها بل بقيت في سيارة والدها الذي لم ينظر لوجهها حتى اللحظة لا هو ولا امها، وحتى وئام! كثيرة الحديث ؛ كانت صامته على غير العادة ....!!؟

ما ان فرغت من الطعام حتى نهضت صاعدة لغرفتها مرة أخرى فوضعهم غير طبيعي، حتى وجوههم كانت جميعها مثل وجه زوجة عمها، مخيفة ومُريبة وجامدة لامشاعر فيها لاتظهر اعينهم البته، وما اثار ريبتها اكثر هو حال جدها .... الذي كان لايزال مُمسكاً بتلك الشمعة حتى في ساعات الصباح الباكر مثل الأن.....!!، هل يُعقل هذا ؟!

تملك الخوف قلبها وبدأت تحاول الاتصال بشهاب لكن لا جدوى، ظلت في غرفتها تفكر فيما يحدث لهم ولم تحاول ان تتحدث معهم مرة أخرى مُنذ البارحة بما فيهم عائلتها

لكنها فكرت في النزول وسؤال والدها عن امر تجاهلهم لها ربما يكون غاضباً منها بسبب قدومها مع شهاب بمفردهم

أتخذت قرارها لتهبط الدرج وتراهم جالسين في غرفة الاستقبال على الكراسي والأرائك مُتجهمي الوجوه مُطاطأي الرؤس، مُشكلين حلقة واسعة يقع بمنتصفها طاولة يعلوها العديد من اكواب الشاي التي يصعد دُخانها، لايتحدث أياً منهم ببنت شفه .....!

وقفت لثانية تتأمل شكلهم المُرعب الذي تُحيطه هالة سوداء مُخيفة، والمضحك في الأمر أن جدها يجلس معهم على كُرسيه المُتحرك ولاتزال بيده تلك الشمعه .....، ضحكت وهي تقول في عقلها :

_ يالها من كوميديا سوداء حقاً ....!

ذهبت لتجلس بجوار والدها الذي كان يجلس هو ووالدتها على أحدى الأرائك كُلاً منهم يرتكن إلى طرف الأريكة تاركين في المنتصف مساحة كبيرة فارغة، حتى ظنت انهم ربما يكونان قد تخاصما في الطريق أو ماشابه ....، ما ان جلست حتى باشرت بحديثها سألةً والدها وجسدها ينتفض رُعباً من وجوههم المُريبة، فهذا ليس بحال بيتٍ به مُناسبة البته وأن كانت توجد مُناسبة ففي مثل حالتهم ليست سوى .... عذاء :

_ ..... بابا حبيبي، هو أنا زعلتك في حاجه .

اجابها ولا تزال عيناها مُعلقة بالأرض بجمودٍ تام :

_ لاء .

استغربت حاله اكثر فوالداها ليسا من ذلك النوع الصامت غالب الوقت، بل هم لا يسكتون عن الحديث البته، إلى جانب ان والدها خاصةُ يعشق الحديث والحكايات، فقررت ان تسأله مرة اخرى وشفتاها ترتجفان قائلة :

_ يعني اكيد مش زعلان مني ....؟!

رد عليها بصوتٍ جهورى وغضبٍ هادر يكاد من يسمعهم يُجزم بأن هذا الشخص ربما تمزقت أحباله الصوتيه في أثناء قوله لتلك الكلمات :

_ قولتلك لاء ....، واطلعي أوضتك يلا ..

نظرت إليه مُرتعبة لتنهض من فورها متوجهة إلى غرفتها حاكمةُ غلق الباب بالمفتاح من خلفها ولحسن حظها انها كانت قد وجدت ذاك المفتاح مُعلقاً بالباب البارحة وادخلته معها .

ظلت ترتعد خوفاً مما يحدث، لم تشعر بالحزن من صُراخ والدها عليها على عكس المتوقع فهي لا تُطيق غضبه عليها نهائياً لشدة خوفها وارتعابها ...فقد توجهت بكل جوارحها إلى تلك المنطقة داخل قلبها و التي لا يشغلها سوى شعورٌ واحد فقط وهو شعور الخوف، الأرتعاب .

حاولت ان تُهدأ من روعها شيئاً فشيئاً وقررت ان تشغل نفسها بما ستختاره لترتديه في هذه الأُمسية ألا أنها سُرعان ما غفت على غير المتوقع ....، نامت لوقتٍ لا تعلم مقداره لكن في هذه المرة أزدادت أحلامها رُعباً أكثر من ذي قبل ...

كان هناك من يضربها بقسوة داخل احلامها يضربها دون رحمة، كلابٌ سوظاء تركض من خلفها، وثعابين عملاقة تحاول لدغها ظلت في تلك لدوامة المُخيفة من الأحداث إلى أن صحت من نومتها لترى كدماتٍ زرقاء تعلو يدها وقدمها نهضت مُتألمة من شدة ما ناله جسدها من ضربات مختلفة في شتى النواحي

ناظرةً للساعة لتجد أن الوقت مر بسرعة وقد شارفت الساعة على ان تكون الرابعة عصراً، تسألت بأستغراب في نفسها فقد شعرت انها نامت اكثر من ست ساعات، لكنها كالعادة لم تُعر الامر اهتماماً ونهضت مُرتدية ثوبها الذي كانت تلبسه عند مجيئها غير مكترثة لأمر الحناء التي ستحضرها فكل ما كان يشغل بالها هو أنها تود مقابلة شهاب لتُخبره عما يحدث معها، وعن سلوك أهلها المُريب .

انتهت بعد بضع ثوانٍ من تحضير نفسها وكادت ان تمسك بمقبض الباب لتفتحه لتسمع طرقات على بابها اتية من الخارج يصحبها هدوءٌ قاتل، ارتعبت وقد تسارعت دقات قلبها قائلة وعيناها مُعلقتان بالباب :

_ .... مين ؟!

_ انا مرات عمك، يلا انزلي عشان نروح لبيت عمك قُصي الأول وبعدين نروح عند عمتك أم رُبا .

ازدردت ريقها وهي تقول مُتلعثمة تفتح الباب :

_ انا جاهزة يلا بينا .

هبطوا الدرج لتجد الجميع يقفون في حديقة المنزل ينتظرونها، لفت نظرها أرتدائهم جميعهم لاثوابٍ سوداء بما فيهم الرجال؛ جميعهم ارتدوا جلاليب سوداء قاتمه، حتى اختها وئام وامها وأخويها الصغار، طالعت وئام التي كانت تمشي مُلتصقة بوالدتها من حولهم أخويها الصغيرين عزام وعمر

في صمتٍ غير مُكترثين لأمرها بحزن وقلق....!؟

سارت معهم على الأقدام حتى وصلوا لبيت عمها قُصي وهذا على غير العادة فقد توقعت انهم ربما يستقلون سيارة عمها خالد ووالدها لكن على غير المتوقع لم يحدث ذلك، فكعادة الامور بهذا المكان لا شئ متوقعٌ !

دلفوا لباحة منزل عمها وقد كانت مجمع للسيدات اللواتي يتلحفن السواد رداءاً لهم حالهم كحال أولائك الذين اتو معها تفاجئت من كونهم يقفون كُلٌ على قدمه صامتين دون ان ينطقوا بكلمة واحدة ينظرون جميعهم تجاه الأرض، ظلت تحوم مُبتعدة عن زوجة عمها التي كانت تُراقبها بأعين ثاقبة كالصقر إلى ان وصلت لمكانً كانت تقف فيه زوجة عمها وابنتها سهام، كادت ان تنطق وتتحدث معهم لكنها رأت ان حالهم حال امها وأخوتها لذا أثرت الصمت وأخذت تجوب بالمكان ألى أن أستطاعت الخروج من الباب لاهثة كالمتسابق الذي أنهى سباقه للتو، أخذت تبحث عن شهاب أو سيارته

لكنها لم تجدها

أخذت تتلفت يميناُ ويساراً حتى وقعت عينيها عليه ؛ يمشي نحوها مُهرولاً يتصبب عرقاً يتنفس بصعوبة مثلها واكثر، ماجعلها تسأله قلقة من حالته هذه قائلة :

_ مالك كدا ...؟

_ مفيش بس كنت بدور عليكي .

أشار لها بيده لتنتظر حتى يلتقط أنفاسه ويهدأ ....، وبعد دقيقة تقريباً تحدث بقلق عليها تملئ عيناه نظراتٍ حانية مُحبة قلقه :

_ انتي كويسه صح ؟

_ اه بخير ،بس ...!

_ بس أي ....؟

_ ..... بصراحه مش عارفه .

نظر لها بقلق رادفاً بهمس وهو يتلفت ليري أن كان احدٌ ما حولهم في اي مكان :

_ حصل معاكِ حاجه مش كدا ..؟، قولتلك ان المكان دا مش طبيعي يا سيدرة صدقيني .

طالعته والدموع تملأ عينيها كالنبع الفارغ عند امتلائه بمياه الأمطار، لكنها حاولت التماسك قدر الإمكان لتقول وقد وضُحت ارتجافة يدها اكثر :

_ ..... ايوا فعلاً ، انا كنت لسه هقولك كدا، حتى انت كمان حصلت معاك حجات غريبة ؟!

_ الحمدلله يعني صدقتيني اخيراً .

_ بصراحه انا كنت حاسه بحاجه غريبة من اول مدخلنا هنا بس كنت بنكر اللي بيحصل، لكن الموضوع بجد زاد عن الحد الطبيعي

_ ايوا دا حتي عيلتي تصرفاتهم غريبة، عادة اخواتي طول الوقت يتشاكلو بس على العكس كلهم ساكتين سكوت مخيف كدا ومرعب، والبيت دايماً ضلمة

دا حتي النهاردة في مناسبة ولا شغلو اغاني ولا علقوا انوار او زينة ولا اي حاجه نهائي مش طبعيين بالمرة ....!

طالعته بنظراتٍ مُتفهمة مُستشعرة كُل كلمة يقولها بإنبهار رادفة :

_ ايوا انا شفت ممتم وسهام جوا، بس فعلاً والله كلهم كانوا عندي كدا بردو وطول الوقت بصيين في الارض ....، ولا جدك، دا بقي نُكته والله طول الوقت قاعد وماسك شمعه في ايدو معرفش ليه ...؟!

ران عليهما صمتٌ مهيب، ليكسره وهو يقول حسماً الأمر، يهمس كي لا يُسمع صوته:

_ أحنا لازم نمشي، وهنمشي دلوقتي بما انهم كلهم مشغولين، تمام ....

_ تمام .

_ ..... تمشو فين ...؟!

اتاهم صوت عمهم قُصي من خلف شهاب ليشحب وجهيهما وتنسحب منهم الدماء، ناظرين إليه وقد ظهر وجهه غاضباً مُخيف المنظر ....

_ اقدار الله جميعها لطيفة ، لذا فقط لنصبر ونحتسب ...

٦ _ خروج (الفصل الأخير) ...

صرخ بصوتٍ تكاد تُصم له الأذان حتى أنهم قد طالهم دوارٌ شديد لشدة علو صوته الغليظ، يقول:

_ منتوش مشيين من هنا .....

اقتربت سيدرة من شهاب تحتمي بظهره مُتخذتاً منه درعاً صلباً تثق تمام الثقة أنه سيحميها من أي شئ .

همس بدوره لها وهو يقول ولم يعد يستطع السيطرة على أرتجافة جسده اكثر من هذا في حين أحتشد الجمع كله واقفين خلف عمهم تصدر منهم اصوات ذمجرةٍ مُخيفة بما فيهم عائلتهم بأكملها من صغيرها لكبيرها يتجمهرون ليسدوا عنهم الطريق، يستمرون بالأقتراب منهم أكثر مع كل خطوة ، وفي كل خطوة يتقدم فيها الحشد كانا هما يتراجعان للخلف

بذعرٍ شديد ،يتصبب العرق من أجسادهم المُرتجفة، تتصاعد انفاسهم ودقات قلوبهم لتبلغ الحناجر من شدة الخوف والرهبة التي تقع عليهم في هذه الأثناء :

_ اسمعي انا .....!!!

حاول شهاب اقتلاع الكلامات من داخله بصعوبة، يشعر كما لو ان حلقه قد ألتصقت فيه الأحبال الصوتيه بعضها ببعض يأبون الأهتزاز لأخراج صوته وكلماته، لكنه جاهد إلى ان أستطاع وأخيراً الحديث ليهمس قائلاً، وهو يمد يده بمفتاح سيارته لها والتي كانت تبتعد عنهم بضعة امتارٍ قليلة :

_ بسرعة أنا هلهيهم .....، وانت اجري على العربية أركبي وبعدها هلحقك بس افتحيلي الباب بعد ما تدخلي العربية

العربية جمب البيت هنا ورانا ..

_ بس انا خايفه .....، مش هقدر اعمل كدا ...؟!

_ سيدرة مش وقتوا خالص الكلام دا ..

_ لا مش هعرف ...

صرخ بها بقوة رادفاً :

_ سيدرة أجري أخلصي يلا ....

رفعت ثوبها بيديها لتجري وهي تصرخ بكل ذرة من كيانها رُعباً وخوفاً، في حين علت أصواتهم مُهتاجين ينظرون إليها تارة وإلى شهاب الواقف امامهم تارة أخرى بشرٍ دفين

انتظر شهاب إلى أن اقتربت هي من السيارة وأمسكت بمقبضها ليركض بكل ما أوتى من قوة باتجاه باب السيارة الذي فتحته له ولا تزال الصرخة لم تفارقها بل ازدادت اكثر عندما رأت أشكلهم المرعبة وهم يركضون من خلفه، لتنطق بصراخٍ وهستيرية :

_ بسرعة يا شهاب ، بسرعة اجري ....

كان الاخير يركض صارخاً هو الأخر، يقول بتذكر عندما غُرست اقدامه بالرمال اثناء ركضه لتُعطله ويزداد قربهم منه ليلتفت كي يتبين المسافة ويستضم بوجوههم المرعبة واعينهم الحمراء :

_ منك لله انتي وسحر الصحرا بتاعتك يا سيدرة ...!

لم تستطع ان تكتم ضحكاتها رغم جدية الموقف وخطورته لتضحك اثناء بُكائها، وهي تقول :

_ اخلص يابني انت مش طبيعي اقسم بالله ..

دلف للسيارة ليُغلق بابها ويضغط على بنزين السيارة بقوة لتنطلق مُصدرتاً صوتاً قوياً وحركة شديدة الأحتكاك بالأرض

تاركتاً من خلفها أثاراً عميقة في الرمال

ظلوا في حالة فزعٍ يحمدون الله على النجاة، حتى تذكرت سيدرة أمر حقيبتها قائلة بلهفة وخوف :

_ شنطتي لسه هناك .....!

_ بلا شنطة بلا بتاع احنا لازم نطلع من هنا .

_ لا، لا، لا مش هطلع من غير شنطتي، حجاتي كلها فيها مقدرش اسيبها هنا واطلع من غيرها ..

_ يعني اهم من حياتنا يا غبية انتي ...؟

_ ...، لاء بس دي فيها اللاب توب بتاعي وعليه شغل مهم كمان فيها هدومي وحجاتي لا لا، لو انت خايف اوي امشي بس انا هنزل اجيبها وبعدها امشي ؟!

_ هبله انتي ... ازاي يعني اسيبك هنا وامشي ..!

نظرت له بعتابٍ وهي تقول :

_ عادي تصرفات الندالة مش جديدة عليك ...

ناظرها بصدمة فاغراً فاه، فالموقف الذين يعيشونه الأن غير طبيعي البته انهم داخل قرية بل وربما مدينة كاملة من الاشباح ....، وعيناها تتحدث بأمورٍ ليست بوقتها نهائياً ليقول :

_ نعم ياختي ....!!

سيدرة بالله عليكِ انتي مش شايفه اللي احنا فيه ...؟!

_ خلص هتنزلني فين قبل ما يلحقونا ....؟

_ قدامك دقيقة واحدة، دقيقة واحدة بس وألقاكي قدامي يا سيدرة لو اتأخرتي عن الدقيقة هنروح بلاش اللهم بلغت اللهم فاشهد ..

_ ..... يعني هتستناني ؟!

توقف بالسيارة امام منزل جدهم والذي لحسن الحظ كان لايبتعد الكثير عن مخرج القرية، ليفتح الباب دافعاً اياها يستعجلها الذهاب، فخرجت بدورها تركض بقوة دالفة المنزل مُتجهة إلى الغرفة التي كانت تقطنها ولحسن حظها انها كانت قد جهزت أغراضها وأعدت حقيبتها للرحيل سابقاً .

فما كان منها سوى ان أمسكتها ساحبة أياها نحو الدرج هابطة لتتوقف عند الباب على حين غرة مُمسكة ببطنها تشعر بالألم ينخر أحشائها أنشاً أنشاَ، امسكت بطنها متأوهة تشعر بأن شيئاً ما يكاد يخرج منها .

فركضت نحو دورة المياه مُستفرغة كل ما وقع بمعدتها من طعام اكلته معهم في ذاك اليوم، تفاجئت بكُتلٍ سودا تخرج من معدتها غليظة ومتكتلة، اغتسلت باشمئزاز مُستنفرة ما يخرج منها، لتخرج من دورة المياه مُمسكة بحقيبتها لخارج المنزل حيث كان شهاب

ينتظرها، اخذ منها الحقيبة ووضعها بالسيارة من الخلف، ليتجهوا من فورهم راكضين نحو المقدمة يُناظرون تلك الغيمة السوداء الصارخة التي تحمل بجعبتها قرية كاملة من الجن، يركضون مُقتربين منهم لايفصل بينهم سوى اربعة امتارٍ بحدٍ أقصى ..

ضغط شهاب على البنزين بقوة لتتحرك السيارة ويخرجون بسرعة من تلك المنطقه، تاركين أولئك يقفون من خلفهم يناظرُنهم ببغض ومقت إلى ان اختفوا فجأة كما لو انهم لم يكونوا من قبل ..... !

صرخت سيدرة بصوتٍ عالٍ لا تستطيع التخيل انهما كانا بذلك المكان مُنذ لحظات، لتتحرك يديها بتلقائية تجاه المُسجل مُشغلة سورة البقرة مُرتجفة يصدر انينها بعد ان انقطع صوت صُراخها .

أخذو يمشون بالصحراء العملاقة لا يعلمون إلى اين الوطهة هذه المرة، حاول شهاب البحث عن الطريق الرئيسي ليتسائل بصوتٍ مسموع بعد ان وجدها قد هدأت وانقطع نحبيها، ليقول :

_ ..... معقوله مشينا كل المسافة دي في الصحرا واحنا مش مُدركين، مش معقوله .....!!!

_ .....

ظلت صامته لا تقوى على الحديث، ليُتابع هو كلامه قائلاً :

_ بس الحمدلله طلعنا والجو نهار .

نظرليري ان الاتصال قد عاد لهاتفه مرة أخرى، فوقعت عيناه على تاريخ اليوم في هاتفه، ليجد انه قد مر ثلاثة أيامٍ مُنذ قدومهم لهذا المكان لم يشأ ان يتحدث حول الأمر ليُفزعها أكثر ففضل الصمت عن الحديث .

_ .....

ظلت هى على حالها تجول بعينيها في كل الاتجاهات حتى وقعت لؤلؤتيها على رجُلاً يسير على بُعدٍ منهم يمتطي جمله لتنطق بتلهف مُشيرةً تجاهه وقد عاد ماء وجهها طبيعياً إلى حدٍ ما :

_ في واحد هناك اهو راكب جمل ...، اكيد عارف المنطقة روح عندو خلينا نسألو الطريق فين ...!

_ ..... تمام .

توجهوا نحو الرجل بدون تفكير ليتوقفوا بجواره ويهبط شهاب من السيارة مُلقيٍ التحية والسلام على الرجل قائلاً وجسده ينتفض من احتمالية عدم رده للسلام وأخافتهم او أذيتهم بأي شكل من الاشكال، فهو لم يعد يثق بأيٍ مما يراه في هذه الصحراء :

_ السلام عليكم ياعم ....!

صمت الرجل هينة وهو ينزل من فوق ظهر جمله تعتلي وجهه تعابير الدهشة ليقول :

_ .....! وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .....، انتو اي اللي جابكم هنا يابني وجيتو ازاي ...؟!

تنهد شهاب براحة، بادئاً الحديث يقُص عليه كل ما حدث معهم من احداثٍ مُخيفة وغريبة، في حين ظل الرجل يستمع إليه بهدوءٍ للنهاية، ليقول فور انتهاء الشاب من الحديث :

_ الحمدلله يابني انكم خرجتم، انتو كنتو في وادي مدينة التيه .....، والوادي دا معروف انو ولعياذ بالله مسكون ...!

_ .....

لم يُصدم كثيراً او يتفاجئ مما يقوله الرجل، ليطلب منه أرشادهم الطريق فقام الرجل بالأشارة تجاه شمال وهو يقول :

_ بص يابني، هتمشي من الطريق دا على طول لغاية ما توصل لشجرة كبيرة هي شجرة صفصاف على ما اتذكر وجمبها صبارة كبيرة من العالية اوي دي، بس تشوفهم امشي على نفس الخط هتلاقي نفسك وصلت للطريق الاسفلت .

_ شكراً اوي انا مش عارف اقولك اي والله، انت ربنا اغثنا بيك يا حج والله ...!

صمت الرجل قليلاً ليقول بود :

_ يابني " ولاَ يعلمُ جنُودْ ربِكَ ألاَ هو " .....، توكلوا على الله، الله ييسرلكم دربكم .

_ يارب ياعم وأياك .

كاد ان يرحل ليستدير ويسأل الرجل عن اسمه فيرد عليه الأخير قائلاً :

_ اسمي عبد اللطيف .

_ تسلم ياعم عبد اللطيف، ربنا يحفظك وييسرلك طريقك خد بالك من نفسك ...؟

_ سبها لله وتوكل انت بس ..

دلف شهاب للسيارة مُشيراً للرجل شاكراً أياه ليبدأ بالسير في الطريق التي أخبره عنها، ليتحدث كاسراً الصمت مُستفهماً وهو يسأل سيدرة حول تلك العبارة التي قالتها ستبقاً، يقول:

_ كان قصدك اي لما قولتي ان الندالة مش غريبة عليا يا سيدرة ؟!....

نظرت إليه بصدمة تزدرد ريقها وهي تقول بتلعثم وبسمة مُزيفة :

_ مكنش قصدي حاجه ...!

_ سيدرة .... اخلصي قولي لو سمحت ..

ظفرت مُخرجةً انفاسها بعمق لتقول :

_ انا سمعتك لما كنت بتكلم المُعيد طارق وبتشتم عليا معاه ...!

صُعق من قولها ليتوقف على حين غرة مُلتفتاً إليها برأسه يحاول تجميع الكلمات في رأسه غير مستوعباً، يقول بعد ان ظل صامتاً لثوانٍ إلى ان استوعب عقله ما قالته للتو :

_ طا ... طارق ....؟!

_ اه .

لعق فمه في محاولة بائسة لتخفيف توتره قدر الإمكان ماسحاً على جبينه يقول متوتراً :

_ بصي، بصراحه انا مكنتش عاوز اقولك دلوقتي بس...حالياً مُضطر اني أقول عشان اشيل سوء الفهم دا بس مش أكتر لأني مش عارف ردة فعلك هتكون أي بصراحة وكنت كاتم دا جوايا بسبب اني مش قادر استنبط تفكيرك ...

_ .....!؟

_انا .... ، انا بحبك .

فغرت فاهَ وقد انفتحت عيناها على وسعيهما من هول الصدمة، يتراقص قلبها فرحاً من وقع الكلمة ونغمتها الرقيقة على قؤادها للتو تشعر بأن فراشات العالم تجمعت لتحملها مُحلقةً بها بين الأزهار، فهاهو حبيب قلبها وحب طفولتها وشبابها يعترف لها بحبه دون سابق إنذار، ألتجم لسانها ولم تستطع التحدث مُتناسية كل ما مر من حديثٍ وتساؤولات، وقد كان حاله لايقل عنها في شئ، فقد ألقى كلمته وتابع مُضطرباً وقد تلتطخت وجنتاه بالحُمرة وهو يقول :

_ بصراحه في اليوم دا هو جالي عشان يسألني اني أكلم عمي عشان هو حابب يجي ويتقدملك، وانا ما ستحملتش فقعدت اقولوا انت متعرفهاش دي وحشة وانانيه وخبيثة ومتتحبش و، و، ....إلخ

عشان ميفكرش فيكِ تاني ويبعد عنك ؛ بس والله هي دي كل الحكاية، بصراحه كنت ناوي اقول لعمي واتقدملك لما نوصل عند بيت جدو .....، بس زيي ما انتي شايفه ...!

تنحنحت وهي تعتدل في جلستها تُحاول أخفاء البهجة والسعادة التي تثق انها تُكلل وجهها بجدارة الان لتقول :

_ أ .. احم طيب أمشي .

ابتسم من حيائها وتصرفها اللطيف ليستأنف وقوفه المفاجئ ويسير في طريقه مرة أخرى واصلاً حيث النقطة التي أخبره عنها عبد

اللطيف نظر بعمقٍ تجاه الشجرة ليرى ان هناك شيئاً يتدلى منها، أثار الأمر فضوله بشدة على غير طبيعته وهذا ما جعله يُريد أن يقبض عليها بين يديه اكثر من ذي قبل .

ليتوقف ويهبط أخذاً تلك التي تبين انها ورقة مُلتفة فوق حجرٍ صغير مربوطة بحبل رفيع يتدلى من الشجرة

وقام بفتحها يقرأ ما تحويها بصوتٍ يكاد يُسمع بعد ان دلف للسيارة وجلس مُمسكاً بالورقة :

_..." لو وصلتوا للشجرة فأنتم كدا في أمان ومن فضل الله خرجتم من الوادي بتعنا على خير....، خلي بالك من نفسك ومن اللي معاك، خليكم مشغلين سورة البقرة يابني واوعوا تقفلوها غير لما توصلوا لمكانكم، إستودعتكم الله ..."

.... (من عبد اللطيف)، جُندٌ من جنود الله، الذي ساقه الله لكم لينجدكم بفضله وكرمه سبحانه وتعالى..... إلى شهاب .

سرت قُشعريرة بجسده قابضاً على الورقة بين كفه كي لا تُلاحظه سيدرة وترتعب مرة اخرى، فهي ولحسن الحظ لم تسمع حديثه، لكنها التفتت نحوه تسأله قائلة :

_ ... اي اللي انت جبتوا دا ....؟!

صمت مُفكراً للحظة ثم قال بتوتر :

_ ولا حاجه دا مُجرد حجر اخدتو ذكرى من المكان عشان افضل فاكر اللي حصل ومنساش ...

_ اممم طيب يلا طلعنا من هنا بالله عليك .

سارو قليلاً حتى وجدوا الطريق الرئيسي ليستقلوه إلى ان وصلوا قريتهم وقت المغيب، الغريب في الامر انهم لم يجدوا اي اتصالاً وارداً بهم من اي احد، أيعقل انهم لم يلحظوا غيابهم لمدة ثلاثة اياٍم كاملين ...؟!

ما ان دلفوا للبيت حتى وجدو الاحتفالات تدوى في كل زاوية على اشدها بحفلة الحناء ذاتها التي كانت في مدينة التيه، لكن هذه المرة احتفالاتٌ بشرية بحته، ليتوجهوا نحو عائلاتهم يسألونهم عن عدم سؤالهم عليهم كي تأتيهم الأجابات الصادمة على لسان عامر :

_ نسأل عليكم ليه وانتو كنتو معانا طول النهار .....؟!

_ بعض الحكايا تُروا لنا، وبعضها نعيشها بأنفسنا، لكن إذا حدث وأصبحت أسير حكايتك الصادمة

ماذا أنت بفاعل؟!

_ مدينة التيه (الفصل الأخير)..

_ تقصد أي يا عم ، اننا كنا موجودين ازاي يعني موجودين..؟!

أبت الكلمات ان تخرج من فمها غير قادرة عن التعبير، ليستكمل والدها حديثه مُبتسماً بسخرية من هيئتهما والصدمة التي كست وجهيهما :

_ انتو مسبتوناش من ساعة ما وصلنا من تلات ايام يا بني انت وهى، اي مالكم كدا ..!؟

نادتها والدتها من بعيد باسمها فألتفتت نحوها تناظرها بفجع واستنكار، تسير قدماها تجاه والدتها بدون ادراك تكاد عينيها تخرج من مكانهما جاحظتان يقفز الخوف من نظراتها التي تُطالع بها والدتها والأشخاص الذين يحفونهم من كل حدبٍ وصوب

انتهى بقدميها الوقوف أمام وجه والدتها التى تُناظرها بأستغراب قائلة :

_ بسم الله علينا، انتي تخرجي من حالة الصمت لحالة الصدمة، مالك يا سيدرة فيكِ اي يا حبيبتي ...؟!

وقعت كلمة حبيبتي على مسمعها وقع قطرات المياه التي توقظ من اوغشي عليه، لتستفيق من شرودها باكية تنصب الدموع من عينيها صباً مُرتمية بين احضان والدتها في خوفٍ بالغ

حضنتها امها بدورها تُربت عليها حتى هدأت وأستكانت بين ذراعيها، لتأخذها مُبتعدة بها في مكان لا يُعج بالناس وهي تقول

مُمسدة على رأسها بحنان وقلق :

_ أي يا حببتي مالك قوليلي فيكي اي ؟!

نظرت لوالدتها والذعر لم يفارق نظراتها، لينطلق لسانها سارداً كل ما مرو به عدىَ تلك التفاصيل التى لم يحدّثها عنها شهاب، ذُهلت والدتها لهول ما مروا به وأخذت تحتضنها وتحمد الله على خروج ابنتها من ذلك المكان بسلامٍ آمنة

في حين ان شهاب كان قد حكى ما حصل معهما للجميع ليقابلوه بعدم تصديق وإنكارٍ لما يقول فلم يكن منه سوى ان ألتزم الصمت في خيبة ورهبة من عِظم الأحداث التي وقعت عليهم .

مرت الأيام تباعاً بعد ان قررت كلا العائلتين البقاء لفترة اطول من الوقت حتي يهدأ وضع سيدرة وشهاب النفسي قليلاً فحالتهم كانت تزداد سوءاً بمرور كل يومٍ أكثر من سابقه، ظلت الأعياءات المرضية المُختلفة مُصاحبة لهم إلى أن أتى موعد الرحيل ليتفقوا على الذهاب في الصباح الباكر من يوم الغدً والموافق يوم الجمعة من الأسبوع .

وعلى غير العادة كانت ليلة الخميس حالكة الظلمة، لايُرى فيها أي شئ وأن كانت الإضاءات مُنيرة، شعرا بأن ضباباً أسود بات يُغطي اعينهم ويال المُصادفة فهذه الظاهرة لم تحصل ألا معهما على وجه التحديد ليخرج كُلاً منهما وبشكلٍ مُنفصل إلى غرفته مُفترشاً سريره لينام ..

☆☆☆☆

علت أصوات الضحكات دا خل أحلام كليهما، ضحكاتٌ كثيرة يصحبها الكثير من العويل والصراخ الذي تقّشعر له الأبدان

كان المكانُ خالِ، صحراءٌ خاوية من كل شئ لا يملؤها سوى الكثير والكثير من الرمال والكثبان الرملية، تعلوها سماءٌ قاتمة السواد بمنتصفها يقع نجمٌ لامع يقترب منهم أكثر فأكثر حتى تهاوى فوق رأسيهما ناثراً معه الكثير من الأرواح المُظلة التى تصول وتجول في حدبٍ وصوب يضحكون ويصرخون عابثين بقلوبهم ونفوسهم المهزوزة الجبانة والضعيفة، ظل الحال هكذا ليهدأ كُل شئ فجأة دون سابق إنذار ويلتفت كلاهما ناظرين لبعضهما البعض ولبُعد المسافة التي تحول بينهما ..

لم يفكروا كثيراً وأخذوا يركضون بقوة حتى باتا بالقرب من بعضهما، ليتحدث شهاب والصدمة تكاد تفتك بقلبه قائلاً :

_ شكلنا رجعنا تاني ..!

لم تستطع السيطرة على انفعالتها لتُمسك بملابسه وهى تقول برعب :

_ شهاب انا عايزة اخرج من هنا، مش هقدر أستحمل اني ارجع المكان دا تاني ...!

قبض على كفها ليهدأ من خوفها وهو يقول :

_ متخفيش ربنا هيخرجنا منها صدقيني انا واثق ان ربنا مش هينسانا ابداً، وزيي ما أرّسلنا الحج عبد اللطيف هيرّسلنا اللي يسعدنا ويكون سبب في نجاتنا أياً كان هو أي او هو مين، عوزك تهدى وتوحدي الله، فجند الله كُثر .

انذرفت دمعاتها بغزارة مُتحدثة والكلمات تخرج منها بتلعثم واختناق رافعةً كفها وهي تدعوا الله قائلة :

_يارب أسئلك أنك تنجينا يارب .

ما ان فرغت من قولها حتى تناهى لمسامعهم صوت ضحكة رجولية رنانة تجوب الصحراء بعمقٍ حتى كادت تُصمّ أذانهم من الصفير المصحوب بها، ليظهر معها طيفٌ أسود يطير في الهواء من أسفله مُقادة شُعلة من نار يقول بصوتٍ رخيم يتعمقه الغلظة وهو يقترب منهم ببطئ، بعد ان فرغ من الضحك ساخراً من كلماتها:

_ مش هتطلعوا من هنا، لو مفكرين أنكم نجيتوا فأنتو غلطنين بكرة معادنا تاني وبكرة يومكم الأخير، ادعوا كتير أدعوا لغاية ما ينتهي صوتكم، وبردو مش هتقدروا تنجو مننا .

أنهي جملته بضحكة قوية تبعث اليأس في النفوس، ليُناظره شهاب بضيقٍ غالب الخوف الذي يسكن قلبه، رادفاً :

_ هنشوف بكرة، واللي معاه ربنا مش بيخيب ابداً وأحب أقولك أية واحدة بس وبعدها مش هنشوف وشك صدقني ....

قام بالأشارة نحوه رافعاً يده للهواء وهو يردد الأية قيلت على لسان رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

عندما حاصروه بمنزله ليمسكوا به :

" وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً

فأخشيناهم فهم لا يبصرون "

ليختفي على مضضٍ وذعر متوعداً لهم وينقشع الظلام عن السماء لتتجلى الشمس بنورها البهي صاحبةً معها ذلك العبد اللطيف، عبد اللطيف بلباسه الأخضر الخلاب ووجهه الوضاء الذي تشقه ابتسامة طيبة، ليقف أمامها وهو يقول :

_ بكرة هستناكم يا شهاب أتحصنوا كويس، وهنساعدكم إن شاء الله وليجعلنا ربي سبباً في إخراجكم من المحنة دي في أسرع وقت .

_ يعني فعلاً بكرة هيقدروا يخدونا تاني ...، طب هما بيعملوا كدا ليه وليه أحنا يا عم عبد اللطيف، احنا مأذيناش حد ؟!

_ صدقني معرفش، بس اللي اعرفه وواثق منو أني هساعدك أنا واهلي بكل فرصة، ومتنساش ذكر الله فوق كل شئ

أستودعتكم الله .

نظر إليهما بحنو ليختفي في الهواء، ويستيقظ كُلاً منهما يختلج صدره بالكثير من المشاعر، مُستعدين لما هو قادم نحوهم من دون هرب او فرار ....

... تمت 🦋